الدلائل
في حكم موالاة أهل الإشراك

ويليه

أوثق عرى الإيمان

للشيخ
سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهَّاب (رحمهم الله)
المتوفى سنة ١٢٣٣ هـ

مكتبة الهمة

الدَّولة الإسلاميّة

خلافةٌ على مِنهاجِ النُّبوّة

الطبعة الأولى
مطابع الدَّولة الإسلاميَّة
ذوالحجّة ١٤٣٦هـ

مُقَدِّمَة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فإنَّ (**الولاء والبراء**) مِنْ أعظمِ أُصولِ الدِّينِ وأرسخِ قواعدِ الإسلام، ولا يتحقَّقُ توحيدُ العبدِ إلا بالموالاةِ في الله والمعاداةِ في الله والحبِّ في الله والبُغضِ في الله، فيوالي ويحبُّ وينصرُ أهلَ الإسلام، ويعادي ويُبغضُ ويجاهدُ أهلَ الشرك ويتبرَّأُ منهم.

عقيدةٌ راسخةٌ رسوخَ الجبال، ليسَ في كتابِ الله تعالى حُكْمٌ فيه مِنَ الأدلَّةِ أكثرَ ولا أبينَ مِنَ الولاء والبراء، بعدَ وجوبِ التَّوحيدِ وتحريمِ ضدِّه[1]، وكذا السِّيرةُ تزخرُ بالولاء والبراء قولاً وعملاً، مِنْ سُنَّتِه (صلواتُ الله وسلامهُ عليه)، وسُنَّةِ صحابتِه (رضوانُ الله عليهم).

لكنَّ طواغيتَ العَصرِ حَرصُوا على محاربةِ الولاءِ والبراءِ بشتَّى الوسائل، فروَّجوا للتَّعايشِ السِّلمي بينَ بني البشر (مسلمِهم وكافرِهم)، وابتدعوا الوطنيةَ والقوميةَ اللَّتَينِ تفرضانِ الولاءَ والمحبَّة والنُّصرةَ لابنِ الوطنِ والقوميةِ وإنْ كانَ مِنْ أكفرِ الكافرين، وأشاعوا احترامَ الكفَّارِ

(١) سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدِّين والأتراك، لحمد بن عتيق النَّجدي.

الأصليينَ المحاربينَ بحُجَّة أنَّهم أهلُ عهدٍ وذِمَّةٍ، واحترامَ المرتدِّينَ بذريعةِ حُـرِّية المعتقد والدِّين... وبالمقابل نابذوا الموحِّدينَ ونكَّلوا بهم حتى غَدَوا –وهم في بُلدانهم– بينَ قتيلٍ وأسيرٍ وشريد.

وسياسةُ الطواغيتِ هذه خلطتِ المفاهيمَ على أهلِ زماننا، ونشأ بيننا مَنْ ينتسبُ للإسلامِ ولا يعرفُ أصلَ دينه! و"أصلُ الدِّين وقاعدتُه أمران: الأول: الأمرُ بعبادةِ الله وحده لا شريك له، والتحريضُ على ذلك، **والموالاةُ فيه، وتكفيرُ مَنْ تركَه**، والثاني: الإنذارُ عن الشركِ في عبادةِ الله، والتغليظُ في ذلك، **والمعاداةُ فيه، وتكفيرُ مَنْ فعلَه**"[1].

وهذا الكتابُ المفيدُ الَّذي بينَ أيدينا يضمُّ رسالتينِ قيِّمتينِ مِنْ أهمِّ رَسائلِ الولاءِ والبراء، وهما: (**الدَّلائلُ في حُكْمِ مُوالاةِ أهلِ الإشراك**) و(**أوثقُ عُرى الإيمان**)، وكلتاهما للشيخ سليمان بن عبد الله بن عبد الوهَّاب[2] (رحمهم الله)، فنسأل الله تعالى أنْ ينفع بهما المسلمين.

مكتبة الهمّة
الدَّولة الإسلاميَّة
ذو الحجَّة ١٤٣٦ هـ

(١) الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة، لأبي عبد الله محمد بن عبد الوهَّاب.

(٢) هو الشيخ العلَّامة سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهَّاب بن سليمان بن علي التميمي النَّجدي المولود سنة ١٢٠٠ هـ في بلدة الـدِّرعية التي تقع الآن شمال غرب مدينة الرِّياض في هضبة نجد في الجزيرة العربية، والمتوفى سنة ١٢٣٣ هـ (رحمه الله وأسكنه فسيح جنَّاته).

الدلائل
في حكم موالاة أهل الإشراك

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهَّاب (رحمه الله):

اعْلَمْ -رَحِمَكَ الله-:

أنَّ الإنسانَ إذا أظهرَ للمشركينَ الموافقةَ على دينهم؛ خوفاً منهم ومداراةً لهم ومداهنة لدفع شرهم؛ فإنه كافرٌ مثلُهم، وإنْ كان يكرهُ دينَهم ويبغضُهم، ويُحبُّ الإسلامَ والمسلمين.

هذا إذا لم يقع منه إلا ذلك؛ فكيف إذا كان في دار مَنَعَة، واستدعى بهم، ودخل في طاعتهم، وأظهر الموافقة على دينهم الباطل، وأعانهم عليه بالنَّصرة والمال، ووالاهم، وقطع الموالاة بينه وبين المسلمين، وصار مِنْ جُنود الشرك والقِباب وأهلِها، بعدما كان مِنْ جُنود الإخلاص والتوحيد وأهله!! فإنَّ هذا لا يَشُكُّ مسلمٌ أنه كافر، مِنْ أشدِّ الناس عداوة لله ورسوله (صلَّى الله عليه وسلَّم).

ولا يُستثنى مِنْ ذلك إلا الـمُكره: وهو الَّذي يستولي عليه المشركون، فيقولون له: اكفرْ، أو افعلْ كذا؛ وإلَّا فعلنا بك وقتلناك، أو يأخذونه فيعذبونه حتى يوافقهم؛ فيجوز له الموافقة باللسان، مع طمأنينة القلب بالإيمان.

وقد أجمعَ العلماءُ على أنَّ مَنْ تكلَّم بالكفر هازلاً أنه يكفر؛ فكيف بمَنْ أظهر الكفرَ خوفاً وطمعاً في الدنيا؟!

وأنا أذكرُ بعض الأدلة على ذلك، بعون الله وتأييده:

الدليل الأول: قول الله تعالى: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} [البقرة: ١٢٠].

فأخبر تعالى أنَّ اليهود والنصارى وكذلك المشركون، لا يرضون عن النَّبيِّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) حتى يتَّبع ملتَهم ويشهدَ أنهم على حق.

ثم قال: {قُلْ إِنَّ هُدَى الله هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ الله مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ} [البقرة: ١٢٠]، وفي الآية الأخرى: {إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ} [البقرة: ١٤٥].

فإذا كان النَّبيُّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) لو يوافقهم على دينهم ظاهراً -مِنْ غير عقيدة القلب، لكنْ خوفاً مِنْ شرِّهم ومداهنةً- كان مِنَ الظالمين، فكيف بمَنْ أظهر لِعُبَّاد القبور والقِباب أنهم على حقٍّ وهدىً مستقيم؟! فإنهم لا يرضون إلا بذلك.

الدليل الثاني: قول الله تعالى: {وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: ١٢٧].

فأخبر تعالى أنَّ الكفَّار لا يزالون يقاتلون المسلمين حتى يردُّوهم عن دينهم إنْ استطاعوا، ولم يرخِّص في موافقتهم خوفاً على النَّـفس والمال والحرمة، بل أخبر عمَّنْ وافقهم بعد أنْ قاتلوه لِيدفعَ شرَّهم أنه مرتد، فإنْ ماتَ على ردته بعد أنْ قاتله المشركون؛ فإنه مِنْ أهل النار الخالدين فيها، فكيف بمَنْ وافقهم مِنْ غير قتال؟!

فإذا كان مَنْ وافقهم بعد أنْ قاتلوه لا عذرَ له؛ عرفتَ أنَّ الَّذين يأتون إليهم ويُسارعون في الموافقة لهم مِنْ غير خوفٍ ولا قتال؛ أنهم أولى بعدم العذر، وأنهم كفَّار مرتدون.

الدليل الثالث: قوله تبارك وتعالى: {لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً} [آل عمران: ٢٨].

فَنَـهَى سبحانه المؤمنينَ عن اتخاذ الكافرينَ أولياءَ وأصدقاءَ وأصحاباً مِنْ دون المؤمنين وإنْ كانوا خائفين منهم، وأخبرَ أنَّ مَنْ فعل ذلك (فليس من الله في شيء)، أي: لا يكون مِنْ أولياء الله الموعودينَ بالنجاة في الآخرة، (إلا أنْ تتقوا منهم تقاة)، وهو أنْ يكونَ الإنسانُ مقهوراً معهم، لا يقدر على عداوتهم، فيُظهر لهم المعاشرة، والقلبُ مطمئنٌ بالبغضاء والعداوة وانتظارِ زوال المانع، فإذا زالَ رجعَ إلى العداوة والبغضاء.

فكيف بمَنْ اتخذهم أولياءَ مِنْ دون المؤمنين مِنْ غير عذر، إلا استحباب الحياة الدنيا على الآخرة، والخوف مِنَ المشركين وعدم الخوف مِنَ الله؟! فما جعلَ الله الخوف منهم عذراً؛ بل قال تعالى: {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: ١٧٥].

الدليل الرابع: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ} [آل عمران: ١٤٩].

فأخبر تعالى: أنَّ المؤمنينَ إنْ أطاعوا الكفَّار؛ فلا بدَّ أنْ يردُّوهم على أعقابهم عن الإسلام، فإنهم لا يقنعون منهم بدون الكفر، وأخبر أنهم إنْ فعلوا ذلك؛ صاروا مِنَ الخاسرينَ في الدنيا والآخرة، ولم يُرَخِّص في موافقتهم وطاعتهم خوفاً منهم.

وهذا هو الواقع؛ فإنهم لا يقتنعون ممَّنْ وافقهم إلا بشهادة أنهم على حق، وإظهار العداوة والبغضاء للمسلمين، وقطع اليد منهم.

ثم قال: {بَلِ اللهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ} [آل عمران: ١٥٠]، ففي ولايته وطاعته غُـنْـيَـةٌ وكفايةٌ عن طاعة الكفَّار.

فيا حسرةً على العبادِ الَّذين عرفوا التوحيد ونشؤوا فيه ودانوا به زماناً؛ كيف خرجوا عن ولاية ربِّ العالمين وخير النَّاصرين، إلى ولاية القِباب وأهلِها ورضوا بها بدلاً عن ولاية مَنْ بيده ملكوت كلِّ شيء؟! {بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً} [الكهف: ٥٠].

الدليل الخامس: قوله تعالى: {أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ الله كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ الله وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [آل عمران: ١٦٢].

فأخبرَ تعالى أنه لا يستوي مَنْ اتَّبع رضوانَ الله، ومَنْ اتَّبع ما يُسخِطُه، ومأواه جهنم يوم القيامة، ولا ريبَ أنَّ عبادةَ الرحمنِ وحدَه ونَصْرَها وكونَ الإنسان مِنْ أهلها؛ مِنْ رضوان الله، وأنَّ عبادة القباب والأموات ونصرَها والكونَ مِنْ أهلها؛ مما يُسخِطُ الله، فلا يستوي عند الله مَنْ نَصَرَ توحيدَه ودعوتَه بالإخلاص وكان مع المؤمنين، ومَنْ نصرَ الشرك ودعوةَ الأموات وكان مع المشركين.

فإنْ قالوا: خِفنا! قيل لهم: كذبتم، وأيضاً فما جعلَ اللهُ الخوفَ عُذراً في اتِّباعِ ما يُسخِطُه واجتنابِ ما يُرضِيه.

وكثيرٌ مِنْ أهل الباطل إنما يتركونَ الحقَّ خوفاً مِنْ زوال دنياهم، وإلَّا فهم يَعرِفون الحقَّ ويعتقدونه، ولم يكونوا بذلك مسلمين.

الدليل السادس: قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْـمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ الله وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرا} [النِّساء: ٩٧].

أي: في أيِّ فريق كنتم؟ أفي فريق المسلمين أم في فريق المشركين؟

فاعتذَروا عن كونهم ليسوا في فريق المسلمين بالاستضعاف، فلم تعذرهم الملائكة، وقالوا لهم: {قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً} [النِّساء: ٩٧].

ولا يَشُكُّ عاقلٌ أنَّ أهلَ البلدان الَّذين خرجوا عن المسلمين، وصاروا مع المشركين وفي فريقِهم وجماعتهم؛ أعظمُ ممَّن ترك الهجرةَ مَشَحَّةً بوطنه وأهله وماله، هذا مع أنَّ الآية نزلتْ في أُناس مِنْ أهل مكة، أسلموا واحتُبسوا عن الهجرة، فلمَّا خرجَ المشركون إلى بدر، أكرهوهم على الخروج معهم، فخرجوا خائفين، فقتلَهم المسلمونَ يومَ بَدْر، فلمَّا علموا بقتلِهم تأسَّفوا وقالوا: قتلْنا إخواننا! فأنزل الله فيهم هذه الآية.

فكيف بأهل البلدان، الَّذين كانوا على الإسلام، فخلعوا رِبقَـتَه مِنْ أعناقهم، وأظهروا لأهل الشرك الموافقةَ على دينهم، ودخلوا في طاعتهم وآووهم ونصروهم، وخذلوا أهل التوحيد، وابتغوا غير سبيلهم وخطَّؤوهم، وظهر فيهم سبُّهم وشتمُهم وعيبُهم والاستهزاءُ بهم وتسفيهُ رأيِهم في ثباتِهم على التوحيد والصبر عليه وعلى الجهاد فيه، وعاونوهم على أهل التوحيد طوعاً لا كرهاً، واختياراً لا اضطراراً؟! فهؤلاء أولى

بالكفر والنار، مِنَ الَّذين تركوا الهجرة شُحَّاً بالوطن وخوفاً مِنَ الكفَّار وخرجوا في جيشهم مكرهين خائفين.

فإن قال قائل: هلَّا كان الإكراهُ على الخروج عذراً للذين قُتلوا يوم بدر؟

قيل: لا يكونُ عذراً، لأنهم في أول الأمر لم يكونوا معذورين، إذ أقاموا مع الكفَّار، فلا يُعذرون بعد ذلك بالإكراه، لأنَّهم السببُ في ذلك، حيث أقاموا معهم وتركوا الهجرة.

الدليل السابع: قوله تعالى: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ} [النِّساء: ١٤٠].

فَذَكَرَ تعالى أنه نزَّل على المؤمنين في الكتاب، أنهم إذا سمعوا آيات الله يُكفَر بها ويُستهزَأ بها، فلا يقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره، وأنَّ مَنْ جلسَ مع الكافرين بآيات الله المستهزئينَ بها في حال كفرهم واستهزائهم؛ فهو مثلهم، ولم يفرِّقْ بين الخائف وغيره إلا المكره.

وهذا وَهُمْ في بلدٍ واحد في أول الإسلام، فكيف بمَنْ كان في سعة الإسلام وعزِّه وبلاده، فدعا الكافرين بآيات الله المستهزئينَ بها إلى بلاده،

واتَّخذهم أولياءَ وأصحاباً وجُلساء، وسمع كفرَهم واستهزاءَهم، وأقرَّهم، وطردَ أهل التوحيد وأبعدهم؟!

الدليل الثامن: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [المائدة: ٥١].

فَـنَـهَى سبحانه المؤمنين عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، وأخبر أنَّ مَنْ تولَّاهم مِنَ المؤمنين فهو منهم، وهكذا حكمُ مَنْ تولَّى الكفَّار مِنَ المجوس وعبَّاد الأوثان؛ فهو منهم.

فإنْ جادلَ مجادلٌ في أنَّ عبادةَ القِباب ودعاءَ الأموات مع الله ليس بشرك، وأنَّ أهلَها ليسوا بمشركين؛ بَانَ أمرُه واتَّضحَ عِنادُه وكفرُه.

ولم يفرِّق تعالى بين الخائف وغيره، بل أخبر الله تعالى أنَّ الَّذين في قلوبهم مرضٌ يفعلون ذلك خوفاً مِنَ الدوائر؛ وهكذا حال هؤلاء المرتدِّين، خافوا مِنَ الدوائر، فزالَ ما في قلوبهم مِنَ الإيمان بوعد الله الصادق بالنصر لأهل التوحيد، فبادروا وسارعوا إلى الشرك، خوفاً أنْ تصيبهم دائرة، قال الله تعالى: {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ

فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ} [المائدة: ٥٢].

الدليل التاسع: قوله تعالى: {تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ} [المائدة: ٨٠].

فَذَكَرَ تعالى أنَّ موالاةَ الكفَّار موجِبةٌ لِسَخَط الله والخلودِ في النار بمجرَّدها وإنْ كان الإنسانُ خائفاً، إلا الـمُكره بِشَرْطِه[1]؛ فكيف إذا اجتمعَ ذلك مع الكفر الصريح، وهو: معاداة التوحيد وأهله، والمعاونة على زوال دعوة الله بالإخلاص، وعلى تثبيت دعوة غيره؟!

الدليل العاشر: قوله تعالى: {وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالله وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} [المائدة: ٨١].

(١) يقصد: إلا الإكراه الَّذي تتحقَّـقُ شروطُه، والتي منها: أنْ يكون فاعلُه قادراً على إيقاع ما يهدِّد به، والمأمورُ عاجزاً عن الدفع، وأنْ يغلبَ على ظنه أنه إذا امتنعَ أوقعَ به ذلك، وأنْ يكون ما هدَّده به فورياً،... وغيرها من شروط الإكراه المبسوطة في كتب أهل العلم.

فَذَكَرَ تعالى أنَّ موالاة الكفَّار منافية للإيمان بالله والنَّبيِّ وما أُنزل إليه، ثم أخبر أنَّ سبب ذلك كون كثير منهم فاسقين، ولم يفرِّق بين مَنْ خاف الدائرة ومَنْ لم يخف.

وهكذا حال كثير مِنْ هؤلاء المرتدِّين قبل ردتهم، كثيرٌ منهم فاسقون، فَجَرَّ ذلك إلى موالاة الكفَّار والرِّدَّة عن الإسلام[1]، نعوذ بالله مِنْ ذلك.

الدليل الحادي عشر: قوله تعالى: {وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} [الأنعام: ١٢١].

وهذه الآية نزلتْ لـمَّا قال المشركون: "تأكلونَ ما قتلتُم، ولا تأكلون ما قتلَ الله!"؛ فأنزل الله هذه الآية[2].

فإذا كان مَنْ أطاعَ المشركينَ في تحليل الـمَيتة مشركاً، مِنْ غير فَرْقٍ بين الخائف وغيره، إلا المكره، فكيف بمَنْ أطاعهم في تحليل موالاتهم، والكون معهم، ونصرهم، والشهادة أنهم على حق، واستحلال دماء

(١) يقصد: الَّذينَ ارتدُّوا من أهل نجد بموالاتهم للجيوش التركية الغازية، فهؤلاءِ بالأصل فَسَقَة، وفُسقُهم جرَّهم إلى استقبال المرتدِّين من الأتراك وموادعتهم ومعاونتهم كي يسلموا من شرِّهم؛ فَـكَفَـرُوا بذلك.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، المعروف بـ(تفسير الطبري)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري.

المسلمين وأموالهم، والخروج عن جماعة المسلمين إلى جماعة المشركين؟! فهؤلاء أولى بالكفر والشرك ممَّنْ وافقهم على أنَّ الـمَيتة حلال.

الدليل الثاني عشر: قوله تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ} [الأعراف: ١٧٥].

وهذه الآية نزلتْ في رجلٍ عالمٍ عابد، في زمان بني إسرائيل، يُقال له: (بِلْعَام) وكان يعلمُ الاسمَ الأعظم[١].

قال ابنُ أبي طلحة عن ابن عباس (رضي الله عنه): "لـمَّا نزلَ بهم موسى (عليه السلام) -يعني بالجبَّارين- أتوه بنو عمِّه وقومُه، فقالوا: إنَّ موسى رجلٌ حديد[٢]، ومعه جنود كثيرة، وإنه إنْ يظهر علينا يُهلكنا، فادعُ اللهَ أنْ يَردَّ موسى ومَنْ معه. قال: إني إنْ دعوتُ الله، ذهبتْ دنياي

(١) ورد ذكرُ (اسم الله الأعظم) في عدد من الأحاديث الصحيحة، منها حديث أنس (رضي الله عنه) أنَّ رسولَ الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) سمع رجلاً يدعو بدعاء، فقال: «لقد دعا الله تعالى باسمه العظيم الَّذي إذا دُعي به أجاب وإذا سُئل به أعطى» [رواه الترمذي وغيرُه].

(٢) "رجلٌ حديد: أي فيه قوةٌ وصلابة، ويغضبُ لانتهاك الحُرُمات" [المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي]،

وآخرتي، فلم يزالوا به حتى دعا عليهم، فسلخه الله مما كان عليه، فذلك قوله تعالى: {فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ}"[1].

وقال ابنُ زيد: "كان هواهُ مع القوم، يعني الَّذين حاربوا موسى (عليه السلام) وقومه"[2].

فَذَكَرَ تعالى أمرَ هذا الـمُنسَلِخ مِنْ آيات الله، بعد أنْ أعطاه الله إياها، وعَـرَفها وصارَ مِنْ أهلها، ثم انسلخَ منها، أي: تركَ العمل بها، وذكر في انسلاخه منها ما معناه: أنه مظاهرة المشركين ومعاونتهم برأيه، والدعاء على موسى (عليه السلام) ومَنْ معه أنْ يردَّهم الله عن قومه، خوفاً على قومه وشفقةً عليهم، مع كونه يعرف الحق ويقطع به ويتكلم به ويشهد به، ويتعبَّد، ولكنْ صدَّه عن العمل به متابعةُ قومه وعشيرته وهواه، وإخلادُه إلى الأرض؛ فكان هذا انسلاخاً مِنْ آيات الله.

وهذا هو الواقع مِنْ هؤلاء المرتدِّين، وأعظم؛ فإنَّ الله تعالى أعطاهم آياتِه التي فيها الأمر بتوحيده ودعوته وحده لا شريك له، والنَّهي عن الشرك به ودعوة غيره، والأمر بموالاة المؤمنين ومحبتهم ونصرتهم،

(١) تفسير القرآن العظيم، المعروف بـ(تفسير ابن كثير)، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي.

(٢) تفسير الطبري.

والاعتصام بحبل الله جميعاً، والكون مع المؤمنين، والأمر بمعاداة المشركين وبغضهم وجهادهم وفراقهم، والأمر بهدم الأوثان، وإزالة القِحَاب واللِّواط والمنكرات، وعرفوها وأقرُّوا بها، ثم انسلخوا مِنْ ذلك كله، فهم أولى بالانسلاخ مِنْ آيات الله والكفر والرِّدَّة مِنْ بلعام، أو هُمْ مثلُه.

الدليل الثالث عشر: قوله تعالى: {وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ الله مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ} [هود: ١١٣].

فَذَكَرَ تعالى أنَّ الرُّكونَ إلى الظَلَمة والكفَّار والظالمينَ موجبٌ لِمسيس النار، ولم يفرِّق بين مَنْ خافَ منهم وغيرِه، إلا المكره؛ فكيف بمَنْ اتَّخذ الرُّكونَ إليهم دِيناً ورأياً حسناً، وأعانهم بما قَدِرَ عليه مِنْ مالٍ ورأي، وأحبَّ زوالَ التوحيد وأهله، واستيلاء أهل الشرك عليهم؟! فإنَّ هذا مِنْ أعظم الكُفر والرُّكون.

الدليل الرابع عشر: قوله تعالى: {مَنْ كَفَرَ بِالله مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ